

تفسير ابن كثير

قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

يقول تعالى : قل يا محمد ، لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة الله - عز وجل -

المانعين من تسميته بالرحمن : (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء

الحسنى) أي : لا فرق بين دعائكم له باسم " الله " أو باسم " الرحمن " ، فإنه ذو

الأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو

الرحمن الرحيم) إلى أن قال : (له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض

وهو العزيز الحكيم) [الحشر : 22 - 24] . وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين

سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده : " يا رحمن يا رحيم " ، فقال : إنه

يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو اثنين . فأنزل الله هذه الآية . وكذا روي عن ابن عباس

، رواهما ابن جرير . وقوله : (ولا تجهر بصلواتك) الآية ، قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ،

حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية وهو متوار

بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به . قال : فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تجهر بصلاتك) أي : بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) . أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به ، وكذا روى الضحاك عن ابن عباس ، وزاد : " فلما هاجر إلى المدينة ، سقط ذلك ، يفعل أي ذلك شاء " . وقال محمد بن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي ، تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يسمع ، ذهب خشية أذاهم فلم يسمع ، فإن خفض صوته صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا تسمع من أراد أن يسمعها ممن

يسترق ذلك دونهم ، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به) وابتغ بين ذلك سبيلا
(وهكذا قال عكرمة ، والحسن البصري ، وقتادة : نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة
وقال شعبة عن أشعث بن أبي سليم عن الأسود بن هلال ، عن ابن مسعود : لم يخافت
بها من أسمع أذنيه . قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سلمة بن علقمة
، عن محمد بن سيرين قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر
كان يرفع صوته ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي - عز وجل - وقد
علم حاجتي . فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان ، وأوقظ
الوسنان . قيل أحسنت . فلما نزلت : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا) قيل لأبي بكر : ارفع شيئا ، وقيل لعمر : اخفض شيئا . وقال أشعث بن سوار ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس : نزلت في الدعاء . وهكذا روى الثوري ، ومالك ، عن هشام
بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : نزلت في الدعاء . وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ،
وأبو عياض ، ومكحول ، وعروة بن الزبير . وقال الثوري عن [ابن] عياش العامري ، عن
عبد الله بن شداد قال : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا : اللهم ارزقنا إبلا وولدا . قال : فنزلت هذه الآية : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قول آخر : قال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، نزلت هذه الآية في التشهد : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص ، عن أشعث بن سوار ، عن محمد بن سيرين ، مثله . قول آخر : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : لا تصل وراءة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس . وقال الثوري ، عن منصور ، عن الحسن البصري : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : لا تحسن علانيتها وتسيء سريرتها . وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، به . وهشيم ، عن عوف ، عنه به . وسعيد ، عن قتادة ، عنه كذلك . قول آخر : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وابتغ بين ذلك سبيلا) قال : أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ، ويصيحون هم به وراءه ، فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت القوم ، ثم كان السبيل الذي بين ذلك ، الذي سن له جبريل من الصلاة .